ملخّص الخاتمة - الحلقة(258)
يا إمام ... هل من خبرٍ أم أنّ الانتظار يطول ؟؟ (ج٢٩)
المشروع المهدوي ما بين التعظيم والتقزيم (ق٤)
برنامج صناعة رجل الدين الإنسان ورجل الدين الحمار
شرح مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة : تعظيم الامام المعصوم
الخميس : ١٩/ربيع الثاني/١٤٤٣هـ - الموافق ٢٥/١١/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

هذا هُو الجزءَ الرابع من حديثي الَّذي عنونتهُ: **المشروعُ المهدويّ ما بينَ التَّعظيمِ والتَّقزيم.**

أنتقلُ بِكُم إلى ملامح المجتمع الإنسان:

إلى أبرزِ وأهمِ ملامح المجتمعِ الإنسان الَّذي يقودهُ ويتزعَّمهُ - بما هو مُفترض - رجلُ الدِّين الإنسان، مرجعُ الدِّين الإنسان، وفي الحقيقة هذا المجتمعُ لا وجودَ لهُ، والقادةُ والمراجعُ من هذا الصنف لا وجود لهم بيننا في واقعنا الشيعي منذُ سنة ٤٤٨ للهجرة حينما أسَّس الطوسي الحوزةَ المشؤومةَ في النجف، وهيمنَ عليها العقلُ الس قيفيّ مُنذُ ذلكَ اليوم وإلى هذهِ اللحظة، لكن في قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، وفي حديثهم المفهَّمِ بتفهيمهم نلمحُ ملامح المجتمعِ الإنسان.

يُحدِّثنا أمير المؤمنين في الخطبةِ الخمسين بعد المئة، صفحة (١٤٨)، يُحدِّثنا عن زمانِ الغَيْبَةِ الطويلة، عن زمانِ الغَيْبَةِ الكُبرى كما نعرفها في ثقافتنا الشيعيّة، من أنَّ إمامَ زماننا يتحرَّكُ: **فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ، لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَه وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَه** - ولكنَّهُ يقومُ بصناعةِ رجلَ الدِّينِ الإنسان صاحبُ الأمر، مثلما جاء التعبيرُ فيما يرتبط بصناعة موسى: ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾، فصاحبُ الأمر في زمانِ غيبته لو توفَّر الَّذينَ يستحقّونَ أن يكونوا كذلك فإنَّهُ هو الَّذي يقومُ بِصناعتهم، القَائفُ الَّذي يمتلكُ فنَّ القيافة، بإمكانه أن يتتبّع الآثار - **ثُمَّ لَيُشَحِّذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْل** - القَيْنُ هو الحدَّاد، والنَّصْل السَّيوفُ الرِماح، هذا الوصفُ هو وصفٌ لبرنامجِ صناعةِ رجل الدِّين الإنسان تحت نظرِ ورعايةِ صاحبِ الأمر.

كيف يتحقَّقُ هذا البرنامج؟!

تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُم وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِم، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ - الصَّبوحُ يُسقونَهُ صباحاً، والغَبوقُ يُسقَونهُ مساءَ، هؤلاء هُم المُخلصونَ الَّذينَ أخلصوا لإمامِ زمانهم، هذا رجل الدِّين الإنسان، أمَّا رجل الدين الحمار: (قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِه)، إذا ما أرادَ أن يتحدَّثَ فلا تتفجَّر ينابيعُ الحكمة على لسانه، وإنَّما يتحدَّثُ بلسانِ الشيطان، الشيطانُ هو الَّذي ينطقُ على لسانه.

مثلما جاء في كلامِ أميرِ المؤمنين صلواتُ الله وسلامهُ عليه من الخُطبةِ السابعة من نهجِ البلاغة بحسبِ الطبعة الَّتي أشرتُ إليها، الصفحة التاسعة بعدَ العاشرة: (**اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِم مِلَاكاً وَاتَّخَذَهُم لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِم وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِم** - هؤلاء هُم مراجعُ الدِّين، زُعماءُ الدِّين، قادةُ الدِّين، قادةُ المجتمعِ الحمار الَّذين هم من هذا الصِّنف من صنف رجلِ الدِّينِ الحمار - **فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِم وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِم** - رجل الدِّين الإنسان هو الَّذي أخلصَ لإمامِ زمانه فتفجَّرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه، رجُل الدِّين الحمار هو هذا الَّذي اتَّخذ الشَّيطانَ لأمره ملاكاً فنظر بعينه ونطقَ بلسانه - **وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِم فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُم الْخَطَلَ فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِه وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِه**)، وهذا هو واقعُ حوزة النجف منذُ أيَّامِ الطوسي وإلى يومنا هذا..

من أبرزِ ملامحِ المجتمعِ الإنسان يتجلَّى في أفراده:

بحسبِ ما أخبرنا إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله عليه في رواية التقليد، وهو يتحدَّثُ عن الفردِ الإنسان عن الشيعي الَّذي ينجو من براثنِ أكثرِ مراجعِ التقليدِ الأنجاس الَّذينَ هُم مثلما بيَّن لنا إمامنا الصَّادقُ من أنَّهم أضرّ على الشيعةِ من جيشِ يزيد على الحُسينِ بن عليٍ وأصحابه، من هو النَّاجي من براثنِ هؤلاء الأنجاس؟

إمامنا الصَّادقُ هكذا يقول في تفسيرِ إمامنا الحسن العسكري صلواتُ الله عليه: **لَا جَرَمَ أَنَّ مَن عَلِمَ اللهُ مِنْ قَلْبِه من هَؤُلَاءِ العَوَامّ** - من عوامِ الشيعة - **أَنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّا صِيَانَةَ دِينِه وَتَعْظِيمَ وَلِيِّه، لَمْ يَتْرُكْهُ فِي يَدِ هَذَا الْمُلَبِّسِ الكَافِر** - الإمامُ يتحدَّثُ عن المَرجع الشَيعي، عنَ المرجع الأعلى، وعن سائرِ المراجعِ في زمانِ الغَيبةِ الكُبرى في أيَّامنا هذه فيما سبق وما سيأتي، ويصفهُ بالملبس الكافر.

مُلَبِّسٌ خَادِعٌ للشيعة، مُدَلِّسٌ كذَّابٌ دَجَّالٌ وكافرٌ، كافرٌ ببيعة الغدير، ناقضٌ لبيعة الغدير - **وَلَكِنَّهُ يُقَيِّضُ لَهُ مُؤْمِناً** - فقيهاً مُؤمناً - **يَقِفُ بِهِ عَلَى الصَّوَاب** - إلى آخر الرواية.

موطنُ الحاجةِ هنا: فهذا الشيعيّ الإنسانُ، هذا الفردُ الإنسان لا يُريدُ إلَّا صيانَةَ دينه وَتعظيمَ وَليِّه وَتَعظيمَ إمَامه، مثلما نقرأُ في دعاء الفرج: (**اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بنِ الحَسَن** - هو هذا الوليّ الَّذي يُعظَّم - **اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَن، فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيّاً وَحَافِظاً**)، إلى آخرِ الدعاء، فهذا الشيعي الإنسانُ لا يريدُ إلَّا صيانَةَ دينه وَتعظيمَ وَليه.

المجتمعُ الإنسان هو المجتمعُ الَّذي يتحرَّكُ في مسارِ التَّعظيمِ للمَشروعِ المهدويّ، والمجتمعُ الحمار الَّذي يتزعَّمهُ هذا المرجعُ الملبس الكافر الَّذي يبني عقيدتهُ على منظومة أصول الدِّينِ الخمسة هذا المرجعُ الحمار والَّذي يتزعَّمُ المجتمع الحمار فإنَّهُ يسيرُ في مسارِ التَّقزيمِ للمشروع المهدويّ، مثلما يُقزِّمُ الإمامةَ وفقاً لمنظومة أصول الدِّينِ الخمسة، فبالضرورة سيُقزِّمُ مشروع الإمامة، إذا كانَ يُقزِّمُ مقاماتِ الإمام ويُقزِّمُ شُؤونَ الإمامة، الشيءُ الطبيعيّ أنَّهُ سيقزِّمُ المشروعَ المهدويَّ لأنَّهُ من شُؤونِ إمامة الحُجَّة بنِ الحسن.

أمَّا القادةُ رجالُ الدِّينِ في هذا المجتمع الَّذين هُم من صنف رجُل الدِّين الإنسان:

في تفسيرِ إمامنا الحسن العسكري من الطبعة الَّتي أشرتُ إلى أوصافها في الحلقات الماضية، صفحة (٣١٩)، رقم الحديث (٢٣٤): "**عَن إِمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه**"، إمامنا العسكريّ يُحدِّثنا عن جدِّه الصَّادقِ أيضاً، يُحدِّثنا الإمام الصَّادقُ عن رجُل الدِّين الإنسان الَّذي يتزعَّمُ المجتمعَ الإنسان: **مَنْ كَانَ هَمّهُ فِي كَسْرِ النَّوَاصِب** - قطعاً النَّواصب الأخطر هم نواصبُ الشيعة، أيُّهما أخطر إمامُ الوهابيّةِ في السعوديّة أم المرجعُ النَّاصبي

المرجئي في النَّجف أيّ هما أخطر؟ قطعاً المرجعُ المرجئيّ النَّاصبيّ في النجف هو الأخطر، هو الَّذي يُضَلِّلُ الشيعة، إمامُ الوهابيّة في مكَّة في المدينة أو في الرياض لا يُضلِّلُ الشيعة يُعادي الشيعة - **مَن كَانَ هَمّهُ فِي كَسْرِ النَّوَاصِبِ عَنِ الْمَسَاكِيْنِ الْمُوَالِيْنَ لَنَا أَهْلِ البَيْتِ يَكْسُرُهُم عَنْهُم وَيَكْشفُ عَنْ مَخَازِيْهِم وَيُبَيِّنُ عَوْرَاتِهِم** - وماذا يفعلُ - **وَيُفَخِّمُ أَمْرَ مُحَمَّد وَآله** - أفرادُ المجتمع يريدونَ تَعظيمَ أمرِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، وقادةُ المجتمع الَّذين هُم من صنف رجل الدِّين الإنسان يُفَخِّمونَ أمر مُحمَّد وآله، تُلاحظونَ أنَّ قُرآنهم، حديثهم، زياراتهم، أدعيتَهُم، تجري في مجرىً واحد، ألا لعنةٌ على منهج مُرجئة النجف - **جَعَلَ اللهُ همَّهُ أَمْلَاكَ الجِنَان فِي بِنَاءِ قُصُورِه وَدُوْرِه** - إلى آخر الرواية..

موطنُ الحاجة هنا : فَإنَّ زعيمَ المجتمع الإنسان، فإنَّ مرجعَ الدِّينِ في المجتمع الإنسان هذا هو حالهُ؛ يكسرُ النَّواصبَ عن أفرادِ ذلكَ المجتمع ويكشفُ عن مخازيهم، إنَّهم نواصبُ المجتمع الحمار.

في التفسير نفسه إمامنا الهادي هكذا يقول: **لَوْلَا مَن يَبْقَى بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُم مِنَ العُلَمَاءِ الدَّاعِيَن إِلَيه** - الإمامُ يُوجِّهُ خطابهُ إلى الشيعة - **مِنَ العُلَمَاء الدَّاعِيَنَ إِلَيه** - من العُلماء الَّذين هُم من هذا الصنف؛ من صنف رجُل الدِّينِ الإنسان، لا من صنف رجُل الدِّينِ الحمار - **وَالدَّالِيْنَ عَلَيه** - هؤلاء الَّذينَ يسيرونَ في مسارِ تعظيمه في مسارِ التَّعظيم، أمَّا مراجعُ المرجئة والبتريَّة والمقصِّرة فإنَّهُم يسيرونَ في مسارِ التَّقزيم والدليل: منظومةُ عقائدهم، منظومةُ أصول الدين الخمسة الَّتي تُقَزِّم الإمامة - **وَالذَّابِّيْنَ عَن دِيْنِه بِحُجَجِ اللَه** - حُجَجُ الله ليس هذا الهُراء الَّذي يتحدَّثُ به مُعمَّمو الشيعة مع الوهابيين في الفضائيّات أو على الإنترنت وفي آخرِ الأمرِ يتفوَّقُ عليهم الوهابيُّون، حُجَجُ الله هذه الحقائقُ الَّتي تُعرَضُ في برامجِ قناة القمر من قُرآنهم المفسَّر بتفسيرهم هذه حُجَجُ الله، ومن أحاديثهم المفهَّمة والمشروحة بقواعد تفهيمهم بمعاريض كلامهم - **وَالْمُنْقذينَ لضُعَفَاء عِبَاد الله** - هؤلاء ضُعفاء العقيدة ما هم ضعفاء الأبدان، ما هم ضُعفاء الأموال - **من شباك إِبْلِيسَ وَمَرَدَته** - شباكُ إبليس هؤلاء هُم المراجع الَّذين حدَّثنا عنهم أمير المؤمنين - **وَمن فخاخ النَّوَاصب لَمَا بَقِي أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَن دِيْنِ الله، وَلَكنَّهُم** - هؤلاء الَّذين هم من صناعة الحُجَّة بن الحسن - **وَلَكنَّهُم الَّذِيْنَ يُمْسكُونَ أزِمَّة قُلُوبِ ضُعَفَاء الشِّيْعَة** - إنَّهُم الضُّعفاء في العقيدة، مراجعُ الشيعة المرجئة، منظومةٌ فكريّةٌ متكاملة هذا التفسيرُ الشريف - **كَمَا يُمسكُ صَاحِبُ السَّفِينَة سُكَّانَهَا، أُوْلَئِكَ هُمُ الأَفْضَلُونَ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ**.

في غَيبة النُّعماني/ طبعةُ أنوار الهدى/ الطبعةُ الأولى/ ١٤٢٢ هجري قمري/ قم المقدَّسة/ الغَيْبَةُ لشيخنا النُّعماني رضوان الله تعالى عليه، المتوفَّى سنة ٣٦٠ للهجرة، صفحة (٢٧٢)، رقم الحديث (٢٨): **بسنده، عَن زُرَارَة** - إنَّهُ زُرَارَةُ بنُ أعين، زُرَارَةُ يُحدِّثنا عن إمامنا الصَّادق صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه - **يُنَادِي مُنَاد مِّنَ السَّمَاء** - إنَّها الصَّيحةُ في شهرِ رمضان، من العلامات المحتومة والواضحة من علامات ظُهورِ إمامِ زماننا صلواتُ الله عليه - **إِنَّ فُلَاناً هُوَ الأَمِير** - إنَّ فُلاناً؛ إنَّ الحُجَّة بنَ الحسن - **وَيُنَادِي مُنَاد إِنَّ عَلِيّاً وَشِيعَتَهُ هُمُ الفَائِزُون، قُلتُ** - زُرَارَةُ يقول إذا كانَ النِّداء هكذا من السَّماء والجميعُ سيسمعون على الأقل الشيعةُ يسمعون، من أنَّ الحقَّ مع عليٍّ وشيعته، ومن أنَّ الإمامَ من الله هو الحُجَّةُ بنُ الحسن - **قُلتُ** - زُرَارَةُ يقول - **فَمَن يُقَاتِلُ الْمَهْدِيَّ بَعْدَ هَذَا؟ فَقَالَ** - فقال الصَّادقُ صلواتُ الله عليه - **إِنَّ الشَّيْطَانَ يُنَادِي إِنَّ فُلَاناً وَشِيْعَتَهُ هُمُ الفَائِزُون لرَجُل من بَنِي أُمَيَّة** - في أحاديثَ أخرى: (إنَّ عُثْمَانَ وَشيعَتُهُ هُمُ الفَائزون)، هل المراد عثمان بن عفَّان أم أنَّ المرادَ عُثمانُ بنُ عنبسة، المعنى واحد، لا أريدُ أن أدخل في هذه التفاصيل - **قُلتُ: فَمَن يَعْرِفُ الصَّادقَ مِنَ الكَاذب؟ قَالَ: يَعْرِفُهُ الَّذِيْنَ كَانُوْا يَرْوُونَ حَدِيثَنَا** - رواةُ الحديث، الَّذين حدَّثنا عنهم إمامنا الهادي قبلَ قليل.. - **وَيَقُولُونَ إِنَّهُ يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُون** - ولا يروون الحديث فقط - **وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُم هُم الْمُحقُّونَ الصَّادقُون** - إنَّهُم أصحابُ العقيدة الواضحة، هؤلاء هم أصحاب مسارِ التَّعظيم، أصحاب مسارِ التَّقزيم الَّذينَ ينطقُ الشَّيطانُ على ألسنتهم، ستأخُذُهم شُكُوكهم، ويأخُذُهم ضَلالُهم، وتأخُذُهم جهالَتُهم، ويستحكمُ عليهم جهلُهُم باتِّجاه الشَّيطان.

في الجزء الأوَّل من الكافي الشريف/ طبعةُ دار الأسوة/ طهران/ إيران/ صفحة ٢١٧/ البابُ الَّذي عنوانهُ: (أنَّ الأئمَّة عليهم السَّلام نُورُ الله عزَّ وجل) الحديثُ الأوَّل، حديثٌ طويلٌ أقرأ منهُ بعض كلماته: **بسنده** - بسند الكُليني رضوان الله تعالى عليه - **عَن أَبِي خَالِد الكَابُلِي** - هذا من الَّذينَ استثنتهُم الأحاديث، استثنتهم إرادةُ الإمام السجَّاد من ارتداد الأمَّة بعد عاشوراء، أبو خالد الكابلي يقول: **سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَن قَولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: "فَآمنُوا بِالله وَرَسُولِه وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا"** - هكذا قال إمامنا الباقر - **يَا أَبَا خَالد، النُّورُ وَالله الأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّد** - هذا هو النُّور، الحديثُ فيه تفصيلٌ أذهبُ إلى موطنِ الحاجة حيثُ يقولُ إمامنا الباقرُ لأبي خالد الكابلي وهو يُقْسمُ بالله - **وَالله وَالله يَا أَبَا خَالد لَنُورُ الإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْس الْمُضِيئَة بِالنَّهَار** - وهذا النُّورُ ليس المؤمنُ هو الَّذي يجتذبهُ، وإنَّما الإمامُ في برنامجِ صناعة الفرد الإنسان - **وَهُم وَالله** - الأئمَّة - **وَهُم وَالله يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمنِين** - هم الَّذينَ يُنورونَ قُلُوب المؤمنين، هذا برنامجُ صناعة رجل الدِّينِ الإنسان الَّذي يكونُ مُشرِفاً على برنامج صناعة الفرد الإنسان لتكوينِ المجتمع الإنسان - **وَيَحِبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نُورَهُم عَمَّن يَشَاء** - إنَّهم أتباعُ رجل الدِّينِ الحمار، إنَّهم أتباعُ المرجئة، أتباعُ مسارِ التَّقزيم - **فَتُظْلَمُ قُلُوبُهُم** - يُسيطرُ عليها الظلام ومن هنا يُقَزِّمُون مقامات الإمام، يُقزِّمون عقيدة الإمامة، يُقَزِّمونَ شؤون الحُجَّة بن الحسن، يُقَزِّمونَ المشروعَ المهدوي الأعظم.

الله سبحانهُ وتعالى جعلَ اسمهُ الاسم الأعظم جعلهُ موصوفاً بهذا الوصف، مثلما نقرأُ في الأدعية الشريفة: (وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَم)، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد هم التجلّي الأعظم لهذا الاسم بينَ أظهرنا، هُم وجهُ الله المتجلِّي واسمهُ الأعظم بينَ أظهُرنا، مسارُنا باتجاههم مسارُ التَّعظيم، مسارُ التَّقزيم هذا مسارُ المرجئة، (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ من عَظَمَتكَ بِأَعْظَمِهَا**)، أعظمُ العظمة مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، وإلَّا فإنَّ عظمة الذَّات الإلهيّة ليس فيها مراتب، فليس هُناكَ في عظمة الذَّات ما هو أعظمُ العظمَة وما هو دون ذلك، إنَّما هذه المراتبُ في الخلقيّات، ممَّا تجلَّى في الحقيقة المُحَمَّديَّة العُظمى وما تجلَّى عنها وما صدرَ منها - **وَكُلِّ عَظَمَتكَ عَظِيْمَة، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعَظَمَتكَ كُلِّهَا**)، هذه مراتب في العظمة، المراتب لا تكونُ في الذَّات الإلهيّة، لأنَّنا إذا اعتقدنا بوجود المراتب في الذَّات الإلهيّة صارَ مركَّباً وهذا نقضٌ للتوحيد، هذا كُفرٌ بالتوحيد، فهذه المراتبُ فيما خلق الله في الحقيقة المُحَمَّديَّة وما تجلَّى منها، فَهُم أعظمُ العظمة، شُؤونهم كذلك ستكونُ شُؤوناً تتجلَّى فيها أعظمُ العظمة بحسبها بحسبِ تلكَ الشؤون.

زُبدةُ القولِ بعدَ كُلِّ تلك البيانات: في (الزيارة الجامعة الكبيرة) إنَّهُ القولُ البليغُ الكامل.

في مفاتيح الجنان:

سأقرأ عليكم مقطعاً من مقاطع هذه الزِّيارة وبعد ذلك أعودُ للتعليقِ على هذا المقطع، بالإجمال فهذا المقطعُ يتحدَّثُ عن مَسار التَّعظيم العقائدي، نُخاطبُ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد، نُخاطبُ صَاحبَ الأمر الحُجَّةَ بنَ الحسن: **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُورَكُم وَطِينَتَكُم وَاحِدَة طَابَت وَطَهُرَت بَعْضُهَا من بَعْض،**

خَلَقَكُم اللهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُم بِعَرْشه مُحْدقين حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُم فَجَعَلَكُم فِي بُيُوت أذنَ اللهُ أَنْ تُرْفَع وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُه، وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُم وَمَا خَصَّنَا بِه من وِلَايَتكُم طِيباً لِخَلْقَنَا وَطَهَارَةً لأَنْفُسنَا وَتَزْكِيَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا، فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلكُم وَمَعْرُوفِيْنَ بِتَصْدِيقنَا إِيَّاكُم، فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِيْنَ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِيْنَ وَأَرْفَعِ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِيْنَ حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِق وَلَا يَفُوقُهُ فَائِق وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِق وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِه طَامِع حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّب وَلَا نَبِيٌ مُرْسَل وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيد وَلَا عَالِـمٌ وَلَا جَاهِل وَلَا دَنِيٌ وَلَا فَاضِل وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِح وَلَا فَاجِرٌ طَالِح وَلَا جَبَّارٌ عَنِيْد وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيْد وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيْد إِلَّا عَرَّفَهُم جَلَالَةَ أَمْرِكُم وَعِظَمَ خَطَرِكُم وَكِبَرَ شَأْنِكُم وَتَمَامَ نُوْرِكُم وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُم وَثَبَاتَ مَقَامِكُم وَشَرَفَ مَحَلِّكُم وَمَنْزِلَتِكُم عِنْدَه وَكَرَامَتَكُم عَلَيه وَخَاصَّتَكُم لَدَيه وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُم مِنْه.

هذا المقطعُ الَّذي اقتطعتهُ من دستورنا العقائدي الشيعي الأصيل من الزِّيارة الجامعة الكبيرة يُحدِّثنا عن مسار التَّعظيم.

بشكلٍ سريع سأمرُّ على عبائرِ هذا المقطع من الزِّيارة الشريفة:

عبائرُ هذا المقطعِ من هُنا بدأت: "**وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُوْرَكُم وَطِيْنَتَكُم وَاحِدَة**"، كُلُّ هذا يُشيرُ إلى الحقيقة الـمُحَمَّديَّة العُظمى، إنَّها حقيقةٌ واحدة، حقيقةٌ بسيطةٌ ليست مُركَّبةً من حيثُ ما دُونها وهي مُركَّبةٌ من حيثُ ما فوقها، فإنَّ الَّذي فوقها هو الَّذي خلقها.

الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ مُركَّبةٌ؛

- ما بين التَّجلِّي الإلهي فيها.

- وما بينَ وجهِ عبوديّتها ومخلوقيّتها.

بالضبط مثلما جاء في دُعاء شهرِ رجب المروي عن إمامِ زماننا الحُجَّة بن الحسن صلواتُ الله وسلامهُ عليه: (لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك)، الزِّيارةُ هُنا تُشيرُ إلى الحقيقة الواحدة الَّتي هي واحدةٌ بسيطةٌ من حيثُ ما دُونها، وهي مُركَّبةٌ من حيثُ ما فوقها.

- **في وجهها الأول:** لَا فَرقَ بينَهَا وبينَهُ.

- **وفي وجهها الثاني:** إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك.

"وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُوْرَكُم وَطِيْنَتَكُم وَاحِدَة"؛ أرواحهم مَردُّها إلى حقيقةٍ واحدة هي الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّة، أنوارُهُم، طينَتُهم، عَبِّروا ما شئتُم من التعابير وهذه أبلغُ التعابير.

الأرواحُ؛ تَجلِّياتٌ من الأنوار.

والأنوارُ؛ تَجلِّياتٌ من الطِّينة.

والطِّينةُ؛ هي عنوانٌ للحقيقة الـمُحَمَّديَّة هنا.

-**وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُوْرَكُم** - فجاءت الأرواحُ جمعاً لأنَّ التكثُّر يأتي بعدَ التوحّد، لم تقل الزيارةُ (وأنواركم)، فالأرواحُ تَكثُّرٌ في تجلِّيها، والنُّورُ توحّدٌ في تجلِّيه، وهذا التكثُّر انعكاسٌ عن ذلكَ التوحّد، والمردُّ إلى الطِّينة إذ ها الطِّينةُ الواحدة، إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ العظمى، فإنَّ الله خلقها بنفسها ولذا فهي الطِّينةُ هي الأصل، خلقَ المشيئة وهي الطِّينةُ خلقها بنفسها، وخلقَ الأشياءَ بالمشيئة.

-**وَطِيْنَتَكُم وَاحِدَة طَابَت وَطَهُرَت** - إنَّها الأرواحُ هي الَّتي طابَت وطَهُرت - **بَعْضُهَا من بَعْض** - تلكَ الأرواح، مردَّها إلى رُوحٍ واحدة، مردَّها إلى نُورٍ واحد، مردُّها إلى طينةٍ واحدة، مردُّها إلى سرٍ إلهيٍ واحد إنَّها المشيئةُ الَّتي خلقها اللهُ بنفسها - **خَلَقَكُم اللهُ أَنْوَاراً** - هذه أصولُ المجالي الَّتي أشرقت منها الأسماءُ الحُسنى، الَّتي كُلُّ شيءٍ من حولنا مَردُّهُ إليها إلى الأسماء الحُسنى.

-**فَجَعَلَكُم بِعَرْشه مُحْدقين** - مُحدقِينَ؛ مُحيطين، مثلما تُحدقُ الحديقةُ بالبيت، فمجالي أنوارهم الأولى، أنا لا أتحدَّثُ عن الحقيقة الـمُحَمَّديَّة في أعظمِ مجاليها مثلما جاء في الأدعية الشريفة: (**وَبِاسْمِكَ العَظِيمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذِي خَلَقْتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّك فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِك**)، أعظمُ مجاليها هناك، فأين العرشُ من هُناك، وإنَّما هذه مجالي الأنوار الَّتي أشرقت منها الأسماء الحسنى.

في الجزء الأوّل من (الكافي الشريف)، الطبعة الَّتي أشرتُ إليها قبل قليل، صفحة (١٦٤)، الحديثُ الرابع: **بسنده** - بسند الكُليني - **عَن مُعَاوِيَة بن عَمَّار، عَن إِمَامنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتُ الله وسَلامُهُ عَلَيه، فِي قَوْلِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: "وَلِلَّه الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا"** - هكذا قال إمامنا الصَّادقُ - **نَحْنُ والله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ العِبَادِ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا** - فَهُم واللهِ الأسماءُ الحُسنى - **نَحْنُ واللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنَ العِبَادِ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا.**

- **حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُم** - إلى أن تَجلَّى ما تجلَّى من تجلياتكُم في عالَمنا الأرضي ما بَينَ أظهُرنا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صلواتُ الله عليهم، ما تقدَّم من كلامٍ هو حديثٌ يبدأ من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة الَّتي كانت ولم يَكُن معها شيء ممَّا دُونها من الخلائق، إلى كُلِّ مجاليها، حتَّى تجلَّت حقيقتهم في عالَمنا الَّذي نعيشُ فيه وفي هذه القُبّة الَّتي يُصطلح عليها في مصطلحاتهم في ثقافتهم (بقُبّة آدم)، والقِبابُ الآدميّةُ كثيرةٌ، فقبل آدمنا هذا آدمُ وآدمُ وآدم، الحكايةُ طويلةٌ سيأتي الحديثُ عنها في قادم الحلقات.

- **فَجَعَلَكُم فِي بُيُوت أذنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُه** - هذه البيوتُ ما هي بِبُيوت الحجر، هذه بُيُوتُ الحقائق، هذه البُيُوت الَّتي أخبرونا عنها من أنَّهم لا يجدونَ لبيوتهم سُقُفاً غير عرش الرَّحمن، هذه مجالي أنوارهم في هذا العالَم، في قُبّة أبينا آدم.

- **وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُم** - هذا عنوانٌ لعقيدتنا - **وَمَا خَصَّنَا بِه من وِلَايَتكُم** - الصَّلاةُ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هي بنفسِ معنى التَّسبيح الَّذي نُسَبِّحُ الله به، فشأنُ الله أن نُسبحهُ، وشأنُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد أن نُصلِّي عليهم هذا هو تسبيحُنا في محرابِ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

-**طِيْباً لِخَلْقنَا وَطَهَارَةً لأَنْفُسنَا** - هذا هو مصنعُ صناعة الفرد الإنسان، هُنا يُصنَعُ الفردُ الإنسان - **وَتَزْكِيَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا** - كُلُّ كلمة بحاجة إلى شرحٍ وبيان، ماذا أصنعُ للوقتِ والزَّمان، لكنَّكم تتلمَّسونَ أنَّ مسارَ التَّعظيمِ يتحركُ في كُلِّ هذه الجُمل، يتجلَّى واضحاً في كُلِّ هذه الكلماتَ، ما هي النتيجةُ بعد ذلك؟

- **فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلكُم** - تُلاحظونَ الاتِّساقَ الدقيق جِدّاً بينَ نُصوص الزِّيارات الَّتي يُشَكِّكُ بها مُرجئةُ النجف، ألا لعنةٌ على منهجهم، ألا لعنةٌ على حوزتهم - **وَمَعْرُوفِيْنَ بِتَصْدِيْقنَا إِيَّاكُم** - نحنُ نُسَلِّمُ بفضلكم، ونُصَدِّقُ بعظمةِ مقامتكم الَّتي هي أعظمُ العظمة (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ عَظَمَتِكَ بِأَعْظَمِهَا).

- **فَبَلَغَ اللهُ بِكُم** - التعبيرُ هُنا قد يكونُ دُعاءَ، وقد يكونُ إخباراً، حتَّى إذا أردنا أن نفهمهُ دُعاءً فَهُو دُعاءٌ في تركيبه اللفظي، أمَّا في مضمونه الخبري فهو بيانٌ وإخبار، وإظهارٌ وإقرار من قِبَل الزَّائر، هذا عرضٌ للعقيدة، وما هوَ بدعاء نتوجَّهُ فيه كي ينتفع منهُ مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمّد، فنحنُ الَّذين ننتفعُ منَ الدعاء، ننتفعُ من صلاتنا على مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد إذا ما ردَّدناهَا على أنَّها دُعاءَ، أمَّا إذا ردَّدناها على أنَّها تسبيح في حقِّ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد فإنَّ التَّسبيحَ إخبار، لا أريدُ أن أخوضَ في هذهِ التفاصيل - **فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِين وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِين وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِين** - هل يعني أنَّ مُحمداً وآلَ مُحَمَّد هُم في هذهِ الدرجات؟!

دَقِّقوا النَّظرَ في التعابير:

"فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِين"؛ هُناكَ مُكرّمُون، والْمُكرّمُونَ هؤلاء لهم محال، لهم منازل، وهناكَ أشرفُ مَحالِّ الـمُكرَمين، فهل يعني هذا أنَّ مُحمداً وآلَ مُحَمَّد هُم في أشرفِ مَحالِّ المكرّمين، هذا يعني أنَّ سلسلة المكرّمين ستكونُ مُتَّصلةً، وأعلى السلسلة مُحَمّدٌ وآلُ مُحَمّد.

والكلامُ هو هو بالنِّسبة للمُقربين؛ **"وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِيْنَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِين"؛** فَهُناكَ مجموعةُ الـمُرسَلين، وهُناكَ مجموعةُ الـمُقرّبين، وهُناك مجموعةُ المكرّمين، وقد يكونُ مرسلٌ أيضاً من المقرّبينَ ومن المكرمين، هذه المراتبُ قد تكونُ مُنفصلةً من حيثيّة من الحيثيّات، وقد تكونُ مُتَّصلةً من حيثيّة أخرى، نَحنُ نتحدَّثُ عن حقائقِ عالم الغَيب، نحنُ لا نتحدَّثُ عن حَقائقِ عالم الدنيا، لا نتحدَّثُ عن حقائق المادّة والحس، هُناكَ شيء يَتسامى على هذه المعاني.

عبائرُ الزيارة هكذا يبدو منها لأوَّل وهلة؛ كأنَّ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد هُم في أشرف مَحلِّ المكرّمين وفي أعلى منازل المقرّبين وفي أرفع درجات المرسلين، فهذا يعني أنَّ السلاسل تتواصلُ حتَّى تَصل إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد. الزيارةُ لا تقصدُ هذا، إذا قصدنا هذا قَزَّمنا مقامات مُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

أكملوا الكلام ماذا تقولُ الزِّيارةُ؟: **حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِق وَلَا يَفُوقُهُ فَائِق وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِق وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِع** - ليسَ هُناكَ من تواصل في هذهِ السلاسل مع مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، هذه سلاسلُ شيعتهم.

"إِنَّ حَدِيثَنَا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ لَا نَبِيٌ مُرْسَل وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّب"؛ حديثهم الَّذي هُو من آثارهم، هُناكَ قطيعةٌ، فَاطِمَة هي فَاطِمَةٌ لأنَّها قد فطمتَ العُقول، العُقُولُ فُطمت عن مَعرفتها، عُقُولُ الخلق، عُقُولُ الأنبياء.

"إِنَّ حَدِيثَنَا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ ذَكْوَانٌ أَجْرَد لَا يَحْتَمِلُهُ لَا نَبِيٌ مُرْسَل وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّب وَلَا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَان - أبو الصَّامت الَّذي يروي لنا الرواية هذه يسأل الإمام الصَّادقَ صلواتُ الله عليه - **فَمَن يَحتَمِلُهُ جُعِلْتُ فِدَاك؟** - مَن يحتملهُ؟ - **قَالَ: نَحنُ نَحتَمِلُه"**، نحنُ نَحتَملُه، هُناكَ قطيعةٌ.

"إِنَّ حَدِيثَنَا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌ مُرْسَل - ومن الأنبياء من ليسَ مُرسلاً، أكثرُ الأنبياء ليسوا مُرسلين - **لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌ مُرْسَل أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّب** - أكثرُ الملائكة ليسوا مُقرّبين - **أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَان"**، وأكثرُ المؤمنين ليسوا بهذا الوصف لم تُمتَحن قُلُوبهم.

هذه السَّلاسلُ الَّتي تتحدَّث عنها الزيارة: **فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِين وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِين وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِين** - هذا ما أستطيعُ أنا أن أُدرِكَهُ بعقلي، الزيارةُ قولٌ بليغٌ كاملٌ، مثلما قال النَّخَعي، أقولهُ أنا، هذا ما هو قولٌ يُناسبُ الإمام، هذا قولٌ يُناسبني أقولهُ أنا.

هكذا جاء في مقدِّمة الزِّيارة: (**عَلِّمْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ الله** - موسى بنُ عبد الله النَّخَعي يقولُ للإمام الهادي - **عَلِّمْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ الله قَوْلاً أَقُولُه** - أنا النَّخَعي أنا وأنتم - **قَوْلاً أَقُولُهُ بَلِيْغَاً كَامِلاً إِذَا زُرْتُ وَاحِداً مِنْكُم**)، هذا القولُ بليغٌ كاملٌ من حيث أنا لا من حيثُ هم، من حيثُ هم ما هو بقولٍ بليغٍ كامل، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد أسمى من الزِّيارة الجامعة الكبيرة، هذا قولٌ بليغٌ كاملٌ دُستورٌ عقائديّ شيعي أصيلٌ بحسبي وبحسبكم لا بحسبِ الحُجَّة بن الحسن، إذا قُلتُ هَذا كُنتُ مُقَزِّماً للحُجَّة بن الحسن، فما بالكم بهؤلاء الَّذين لا يفقهونَ الزِّيارةَ الجامعة الكبيرة ويجدونَ الزِّيارةَ الجامعة الكبيرةَ فيها من المعاني الَّتي لا تقبلُها عقولهم؟

عرفتُم الآنَ الفارقَ بين التَّعظيم والتَّقزيم، هذا هو مرادي من التَّعظيم والتَّقزيم، هذه الزِّيارةُ الجامعةُ الكبيرةُ منبعُ العقيدة الصَّافية، ومَنجمُ المعرفة والثقافة العَلَويَّة النَّقية، أتحدَّثُ عن عَلَويَّة أمير المؤمنين، وعن عَلَويَّة إمامنا السجَّاد، وعن عَلَويَّة الرضا، وعن عَلَويَّة الَّذي فاضت شَفَاهُهُ القُدسيّةُ بها عن عَلَويَّة علي الهادي، هؤلاء الأئمَّةُ الحُرم بحسبِ تعبيرِ القُرآن، العَلِيُّونَ الحُرُم صلواتُ الله عليهم مظاهر الجلال الإلهي الأعظم، ومن هنا عَبّر عنهم القُرآن من أنَّهم الحرم.

في سُورة التَّوبة، الآية السادسة والثلاثين: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ** - كَم؟ - **اثْنَا عَشَرَ شَهْراً** - إنَّها سلسلةُ الأئمَّة الأوصياء، سلسلةُ الأئمَّة الاثني عشر - **فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم** - العَلِيّون؛ عليّ المرتضى، عليّ السجَّاد، عليّ الرضا، عَليّ الهادي - **ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِم**﴾، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِم الَّذي لهُ قَيمةٌ كما في سُورة البيِّنَة: ﴿**وَذَلِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَة**﴾، الباقر يقول: (القَيِّمةُ فَاطِمَة)، بحسب تفسيرهم.

- **حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِق** - ليسَ هُناك من اتصال هنا انقطاع - **وَلَا يَفُوقُهُ فَائِق** - الفائقُ هو المتفوِّق الَّذي يتفوَّقُ عَلَيّ بما عندهُ من قُدرات من مَلكات من ومن ومن - **وَلَا يَسبِقُهُ سَابِق وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِع** - انتهت الألفاظ، هذا هو الَّذي يُوجَدُ في لُغة العرب..